بسم الله الرحمن الرحيم



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حيَّاكم الله معاشر الإخوة والأخوات إلى البرنامج الأسبوعي (التوحيد أولاً).

عقيدة أهل السُّنة في الإيمان.

حديثنا بإذن الله تعالى في هذه الليلة عن (عقيدة أهل السنة في الإيمان)، وهذه المسألة من أهم مسائل وأبواب العقيدة، والنزاع حصل فيها عند الفرق الضالة قديمًا حينما ظهرت الخوارج في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وحكموا بكفر مرتكب الكبيرة، وحكموا بالتكفير فيما ليس بمُكَفِّر؛ ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في شرح حديث الافتراق في الجزء الثالث من [مجموع الفتاوى] ذكر:"أنَّ أصل قول الخوارج التكفير بالذنب، ويجعلون ما ليس بذنبٍ ذنبا"، يعني أنّهم يُكفِّرون ما ليس بمُكفِّر، ثم يلزم على ذلك عندهم التساهل في الدماء المعصومة، أمّا عقيدتنا أهل السنة والجماعة في الإيمان فيمكن أن نوجزها فيما يلي:

- نقول: **أولًا في تعريف الإيمان**: الإيمان في اللغة هو التصديق والإقرار الجازم الذي يتبعه عمل يأمن معه المؤمن العقوبة، فالإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما فيه قدر زائد عليه وهو الطمأنينة والتسليم والإقرار، هذا من حيث اللغة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في [الصارم المسلول]، قال: "إن الإيمان ليس مجردَ التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة؛ وذلك لأن التصديق إنما يعرضُ للخبر فقط، فأمّا الأمر فليس فيه تصديقٌ من حيث هو أمر، وكلام الله خبرٌ وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المُخبَر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديقُ والانقياد"اهـ.

وقال تلميذه العلّامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه [الصلاة]: "فإن الإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد" اهـ.

ولهذا من الخطأ أن يُقال في تعريف الإيمان في اللغة بأنه مجرد التصديق، هذا من الغلط، وإنما يُقال: هو الإقرار والتصديق الجازم الذي يستلزم العمل، وقد نقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه [الإيمان الكبير] نقد تعريف الإيمان في اللغة بأنّه التصديق، مجرد التصديق، وبيَّن ما فيه من ملاحظات.

➢**أمّا من الناحية الشرعية**: فالإيمان عندنا معشر أهل السنة حقيقةٌ مركبة من اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

لو أردنا أن نوضح هذا التعريف، نشرحه شرحًا ميسرًا نقول:

✍ **قولنا: "اعتقاد القلب"** يعني ما يقوم بالقلب من التصديق واليقين، هذا يتضمن أمرين: يتضمن قول القلب وعمل القلب، أمّا قول القلب فهو ما يقوم في قلب كل واحد من التصديق واليقين بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبشرائع الإسلام، هذا قول القلب، عمل القلب ما يقوم به من النية والإرادة، وما يقوم به من أعمال القلوب من الإخلاص والتوكل والمحبة والخشية.

📖 طيب ما الفرق بين قول القلب وعمله؟

نقول: الفرق بينهما أنّ قول القلب هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها، الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، التصديق بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم، الإقرار بشرائع الإسلام جملةً، وأمّا عمله –أي عمل القلب- فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، أعمال القلوب من المحبة والخوف والخشية والرجاء.

✍ **وقولنا: "قول اللسان"** في تعريف الإيمان نريد به النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها، فلا بد من النطق بالشهادتين، لا بد لمن أراد أن يدخل في الإسلام أن ينطق بالشهادتين وأن يقرَّ بلوازمها، العلم بمعناها "لا معبود بحق إلا الله" وفي شهادة أنّ محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، والإقرار بلوازمها، العمل بمقتضاها.

إذًا **قول اللسان**: ما يقوم باللسان من العبادات كالأذكار والتسبيحات والدعاء، وأجلُّ ما يقوم باللسان هو الشهادتان.

الركن الثالث: عمل الجوارح؛ لأن العمل عندنا قسمان:

- عندنا عمل القلب وهو نيته وإخلاصه.
- وعندنا عمل الجوارح، وهو ما لا يُؤدى إلا بها؛ مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

إذًا هذه هي عقيدتنا أهل السنة في الإيمان: قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك متضافرة من الكتاب والسنة والإجماع:

أمّا الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس حينما كان الصحابة رضي الله عنهم يصلون قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة، إلى المسجد الحرام، كانوا يصلون إلى بيت المقدس قرابة سبعة عشر شهرًا، فلمّا حُوِّلت القبلة إلى المسجد الحرام في قوله جلَّ وعلا: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ١٤٤﴾ [البقرة:١٤٤]، شقَّ ذلك على بعض الصحابة رضي الله عنهم فسألوا عن صلاتهم إلى بيت المقدس ما حالها؟ فأنزل الله جلَّ وعلا هذه الآية، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس.

وجه الاستدلال من الآية: أنّه سمَّى الصلاة إيمانًا وهي عملٌ ظاهر، فدلَّ هذا على دخول العمل في مسمى الإيمان.

ومن السنة: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، فأفضلها –وفي رواية أعلاها– قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»، ووجه الاستدلال من الحديث: أنّ هذه الشُعب التي جاءت في هذا الحديث تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن؛ فقول: "لا إله إلا الله" هذا قول اللسان، "وإماطة الأذى عن الطريق"

هذا من أعمال الجوارح، من أعمال البدن، والاعتقاد بالشرائع -بشرائع الإسلام- هذا من اعتقاد القلب.

وأمّا الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وممن نقل الإجماع في هذا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "كان الإجماع من الصحابةِ والتابعين منْ بعدهم ممن أدركنا كلهم يقولون: "الإيمان قولٌ وعملٌ ونية-النية هي الاعتقاد-، لا يُجزئ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر"، يعني أنّها متلازمة، لا بد منها، فإذا انتفى أحدها ذهب الإيمان بالكلية، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم؛ منهم: الإمام وكيع بن الجرَّاح، ومنهم: أبو عبيد القاسم بن سلّام في كتابه [الإيمان]، ومنهم: الإمام البخاري رحمه الله تعالى، ومنهم: البغوي، ومنهم: ابن عبد البر في [التمهيد]، وغيرهم من أئمة أهل السنة.

إذًا الأصول التي يقوم عليها مذهب أهل السنة في الإيمان يمكن أن نوجزها فيما يلي:

الأصل الأول: أنّ الإيمان حقيقةٌ مركَّبة وجودية من الظاهر والباطن، فالإيمان محله في القلب ولا بد أن يظهر أثره على الجوارح، وقد جاءت عبارات كثير من أئمة السلف في بيان حقيقة هذا الأصل، أنّ الإيمان حقيقة وجودية من الظاهر والباطن؛ فمن ذلك:

الطريق الأول: نفي الإيمان عند انتفاء العمل الظاهر، يقول الأوزاعي رحمه الله: "كان من مضى من سلف هذه الأمة لا يفرِّقون بين الإيمان والعمل"، أنهما متلازمان، وقال الوليد بن مسلم: "سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قولٌ بلا عمل-اللي هو قول المُرجئة-، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان"، وقال الإمام أحمد -كما نقل عنه ذلك الإمام الخلَّال في كتابه [السنة]- الإمام أحمد يقول: "الإيمان لا يكون إلا بعمل"، يعني أنّ العمل والإيمان متلازمان، لا يكون الإيمان إلا بعمل، هذا الطريق الأول.

الطريق الثاني: نفي الإجزاء والصحة عند انتفاء العمل الظاهر، يعني لا يكون الرجل مؤمنًا وهو يترك العمل بالكلية، جميع أعمال الجوارح بالكلية، هذا ليس بمسلم، فمن ذلك ما

قاله سفيان الثوري، قال: "الإيمان قولٌ وعملٌ ونية يزيد وينقص، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة"، فمراده بقوله: "لا يجوز" أي لا يُجزئ ولا يصح.

ومن ذلك أيضًا قول الإمام الشافعي الذي نقلناه قبل قليل في نقل إجماع أهل السنة في ذلك حيث قال رحمه الله: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين مَنْ بعدهم ممن أدركناهم أنّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونية، لا يُجزئ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر"، نقله عنه الإمام اللالكائي في كتابه **[شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة]**، ونقله عنه أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس **[الإيمان الكبير]** مُقرًا له، لا يُجزئ واحد من هذه الثلاث إلا بالآخر، فهي كلها مترابطة لا بد منها، فإذا ذهب أحدها ذهب الإيمان بالكلية.

الطريق الثالث: الحكم بأنّ الإيمان لا ينفع بدون عمل ظاهر، بدون عمل صالح ظاهر، فمن ذلك ما قاله الإمام الحُميدي رحمه الله، قال: "الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، لا ينفع قولٌ إلا بعمل -يعني لا بد من العمل الظاهر- ولا عمل وقول إلا بنية، ولا قولٌ وعملٌ بنية إلا بسنة"، وقال الزُهري رحمه الله تعالى -الإمام الزُهري مقررًا ذلك-: "كنا نقول: الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل، والإيمان قولٌ وعمل قرينان -قال: قرينان- لا ينفع أحدهما إلا بالآخر"، نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **[الإيمان الكبير]**، ومراد السلف في ذلك نفي النفع في أصل الإيمان، ومرادهم بالعمل العمل الظاهر؛ لأنهم قالوا ذلك في سياق الرد المُرجئة؛ لأن المُرجئة يُخرجون العمل عن اسم الإيمان، ويرون أنّ الإنسان يكون مؤمنًا بالقول والاعتقاد، وهذا من أبطل ما يكون، هذا باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع ولتقريرات أئمة أهل السنة.

فهذه الطرق الثلاث التي أخذنا من خلالها تقريرات أئمة أهل السنة تُبين أنّه لا إيمان إلا بعمل، ومن لم يأتِ بالعمل بالكلية فهو ليس بمسلم، بل هو كافر، فلا يُتصور وجود التصديق والإقرار في القلب من غير عملٍ ظاهر يكون معه، ولا يُتصور أن يعيش الإنسان بظاهر لا باطن له، هذا هو الأصل الأول.

❁ **الأصل الثاني أيضًا من الأصول عند أهل السنة**: التلازم بين الظاهر والباطن، عندنا أهل السنة هناك تلازم بين الظاهر والباطن، هناك ارتباط وثيق ما بين باطن الإنسان وما بين ظاهره بحيث أنّ كلًا منهما يؤثر في الآخر، يعني يستحيل وجود إيمان حقيقي في القلب من غير عمل ظاهر، ويستحيل وجود إيمان في الظاهر من غير إيمان باطن يرتبط به، الذي هو التصديق والإقرار، فلا إيمان في القلب إلا بعملٍ في الظاهر.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أفاض في تقرير هذا الأصل "إثبات التلازم بين الظاهر والباطن عند أهل السنة"، ومن ذلك ما ذكره في كتابه **[الإيمان الأوسط]**، له تقريرات كثيرة في هذا الكتاب الرائع النفيس المُحكم المتين في هذا الأصل، وهو التلازم بين الظاهر والباطن، يقول رحمه الله تعالى في ذلك:

"وإذا قام بالقلب التصديق به –يعني بالله– والمحبة له لزم ضرورةً أن يتحرك البدن بموجَب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلوب ولازمه ودليله ومعلوله، كما أنّ ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثير فيما في القلب، فيما يكون في القلب، فكلٌ منهما يؤثر في الآخر"، شوف التلازم بين الظاهر والباطن، قال: "فكلٌ منهما يؤثر في الآخر"اهـــ.

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: "ولمّا كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يُستدل بها عليها، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢]"، قال: "فأخبر أنّ من كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر لا يوجدون موآدين لأعداء الله ورسوله، بل نفس الإيمان ينافي موآدتهم"، اهـــ.

❁ **الأصل الثالث أيضًا من أصولنا أهل السنة في الإيمان**: أنّ الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل، حقيقة الإيمان أنّه يتفاضل وليس شيئًا واحدًا، فالإيمان يتفاضل في قلوب الناس وفي أعمالهم، وهو يزيد وينقص؛ ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

إذًا الإيمان يتفاضل، التفاضل يكون في القلب، في التصديق، في أصل الإيمان الذي هو التصديق، فهو يتفاضل، ويتفاضل في الأعمال؛ ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«لو وُزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه»**، فالإيمان -إيمان أبي بكر- لا من جهة تصديقه ويقينه ولا من جهة عمله يرجُح على إيمان الأمة، فهذا فيه دليل على التفاضل، وأنّ التفاضل يقع في القلب ويقع في الأعمال؛ ولهذا غلط الطحاوي في عقيدته لّما قال: "إن الإيمان واحد وأهله في أصله سواء"، هذا من الأخطاء التي أُخذت على الطحاوي في عقيدته.

أيضًا مسألة زيادة الإيمان ونقصانه هذه جاءت كثير من الألفاظ عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وجاء عن ابن مسعود، وجاء عن جابر رضي الله عنه، وعن أبي هريرة ألفاظ متعددة كثيرة في أنّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، بطاعة الله سبحانه وتعالى، وينقُص بالمعصية، يزيد بطاعته سبحانه وتعالى وينقص بالمعصية.

❁ **الأصل الرابع عندنا أهل السنة في حقيقة الإيمان**: أنّ شُعب الإيمان متفاوتة عندنا أهل السنة، شُعب الإيمان متفاوتة عندنا معشر أهل السنة، فهناك شُعب لا بد من الإتيان بها، من لم يأت بها لم يأتِ بالإيمان؛ فمن ذلك:

- الشهادتين، النطق بشهادة لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فمن لم ينطق بهما لم يدخل في الإسلام.

- أيضًا الصلاة، فتارك الصلاة بالكلية الذي لم يصلي هو كافر بإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما نقل ذلك عبد الله بن شقيق العُقيلي رحمه الله تعالى قال:**«كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»**، رواه الترمذي بإسنادٍ صحيح، وممن نقل الإجماع في ذلك إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى، قال: أدركنا الصحابة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا -يعني القرون الثلاثة المفضلة- على

أنّ تارك الصلاة كافر، ونقل محمد بن نصر المروزي في كتابه العظيم [تعظيم قدر الصلاة]: كفر تارك الصلاة عن عشرة من الصحابة رضي الله عنهم؛ كجابر وأبي هريرة وغيرهم، فجابر رضي الله عنه قيل له: ما كنتم تَعُدون من ترك الصلاة؟ قال: لم نكن نعُده من المؤمنين أو من المسلمين، نعُدَّه من المشركين، فمحمد بن نصر نقل كلام عشرة من الصحابة في كفر تارك الصلاة، ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة"، يعني الحظ لا نصيب له، نفى عنه الإيمان بالكلية، إذًا الشهادتين وترك الصلاة هذه مُكفِّرة.

- الثالث: ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية، يعني ترك العمل الصالح مطلقًا، شخص يقر بالشهادتين ويعتقد بقلبه بصحة شرائع الإسلام وبالإيمان بالله ورسوله لكن لا يعمل، ممتنع عن العمل مع القدرة والاختيار والعلم، فأهل السنة يرون أنّ من ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية فهو ليس بمسلم، يقول إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: "غلت المُرجئة حتى صار من قولهم أنّ قومًا يقولون: من ترك المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لا نُكفِّره، يُرجى أمره إلى الله بعد إذ هو مُقر، قال: فهؤلاء المُرجئة الذين لا شك فيهم"، نقله عنه ابن رجب في [فتح الباري].

إذًا بيَّن أنّ هذا قول المُرجئة، من يقول بأنّ الإيمان يحصُل بدون عمل صالح هذا قول المرجئة، وسُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ قال: "هو قولٌ ونيةٌ وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر"، نقله عنه ابن بطة في [الإبانة الكبرى].

وقال سفيان بن عيينة كما في كتاب [السنة] لعبد الله بن الإمام أحمد حين سُئل عن الإرجاء، قال: "يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول: الإيمان قولٌ وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد ألا إله إلا الله مصرًا بقلبه على ترك الفرائض، وسمَّوا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم وليس سواء"، فرَّق بين فعل الكبائر وبين ترك العمل سفيان، قال: "لأنّ ركوب المحارم من غير استحلال معصية"، كبيرة من الكبائر لا تُخرج من الإسلام، قال: "وترك الفرائض متعمدًا من غير جهلٍ ولا عذر هو كفر".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في شرح **[العمدة]** في (٢/٨٦)، قال: "فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قولٌ وعمل كما دلَّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف، فالقول تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية – ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية- لم يكن مؤمنا"اهـ.

وصرَّح رحمه الله تعالى كما في **[الإيمان الأوسط]** بأنّ انتفاء أعمال الجوارح مع القدرة والعلم بها لا يكون إلا مع نفاقٍ في القلب وزندقة لا مع إيمانٍ صحيح، فقال رحمه الله كما في **[الإيمان الأوسط]**: "ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه بأنّ الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعيش دهره –يعني طول عمره- لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاقٍ في القلب وزندقة لا مع إيمانٍ صحيح"اهـ.

وقال أيضًا رحمه الله كما في **[الإيمان الأوسط]**، قال: "وقد تبين أنّ الدين لا بد فيه من قولٍ وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبًا ظاهرًا، لا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا غير ذلك من الواجبات"، ثم قال رحمه الله وبيَّن أنّ هذه بدعة الإرجاء، قال: "ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيءٍ من الواجبات كان مخطئًا خطأً بيِّنًا، وهذه بدعة الإرجاء التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف"اهـ.

كنا نتكلم عن مسألة من ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية، وذكرنا كلام أئمة أهل السنة في ذلك، وأنّ من ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والاختيار فليس بمسلم، نضيف إلى هذا نقل عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتابه النفيس **[الإيمان الكبير]**، فهذا الكتاب مع كتابه **[الإيمان الأوسط]** كتابان نفيسان مهمان في تقرير عقيدة أهل السنة في الإيمان والرد على المرجئة الضُلَّال.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في **[الإيمان الكبير]** مبينًا انحراف المرجئة في هذا الأصل، قال: "فإن المرجئة لا تُنازع في أنّ الإيمان الذي في القلب يدعو إلى فعل الطاعة

ويقتضي ذلك، والطاعة من ثمراته ونتائجه، ولكنها تنازع هل يستلزم الطاعة؟"، يعني هل لا بد من العمل؟ يقولون: لا، المرجئة يقول: العمل كمال من ثمرات الإيمان، من شرائع الإيمان، شرط كمال كما يقوله بعض المعاصرين، لكن لا يجب، يعني لو أنّ إنسان ترك العمل عندهم معه أصل الإيمان، وعندنا نحن أهل السنة لا، من ترك كل العمل فليس بمسلم، وهذا من دقة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في ذكره لثمرة الخلاف مع المرجئة.

إذًا عندنا من الشُّعب ما يزول الإيمان كله بتركها؛ كالشهادتين، والصلاة، وترك جميع أعمال الجوارح بالكلية.

عندنا أيضًا هناك شُعب يزول كمال الإيمان بتركها؛ مثل: ترك إماطة الأذى عن الطريق، أيضًا من فعل الكبائر لا يُعطى اسم الإيمان المطلق، فلا يقال هو مؤمن ولا يقال هو كافر، لا، يقال: هو مؤمنٌ بإيمانه فاسق بكبيرته؛ كالزاني، الزاني لا يقال هو خارج عن الملة كما تقوله الخوارج والمعتزلة، ولا يُعطى الإيمان الكامل كما تقوله المرجئة، وإنما نحن نقول: هو مؤمنٌ بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يُعطى مطلق الاسم ولا يُسلب عنه الاسم المطلق؛ لأن الإيمان عندنا أيضًا أهل السنة يتجزأ ويتبعض، فيجتمع في الشخص إيمان وكفر، يعني لا يُخرج من الملة، يجتمع في الشخص طاعة ومعصية، فالتجزؤ في الإيمان والتبعض هذا أصلٌ عندنا أهل السنة في عقيدتنا في الإيمان.

ولهذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في شرح **[الأصبهانية]**: "وأمّا أئمة السنة والجماعة فعلى إثبات التبعيض في الاسم والحكم، فيكون مع الرجل بعض الإيمان لا كله، ويثبُت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه، كما يثبُت له من العقاب بحسب ما عليه، وولاية الله بحسب إيمان العبد وتقواه، فيكون مع العبد من ولاية الله بحسب ما معه من الإيمان والتقوى"اهـــ.

إذًا الإيمان عندنا يتجزأ ويتبعض، طبعًا **من أدلة أهل السنة في ذلك:**

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ۝٩﴾ [الحجرات:٩]

فسمَّاهم مؤمنين مع وجود الاقتتال، والاقتتال كبيرة من كبائر الذنوب، فلم يسلبهم الإيمان بوجود الاقتتال.

أيضًا من السُّنة: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»، فالزنا والسرقة من الكبائر، فهو حين فعل هذه الكبيرة انتفى عنه كمال الإيمان لا أصله، فيبقى عليه اسم الإسلام إلى تركه هذه الكبيرة يرجع إليه اسم الإيمان.

وقد جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظُلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان**»، رواه أبي داود في سننه، وهذا يدل على أنّ اسم الإيمان يبقى على فاعل الكبيرة وعلى من حصل منه الفسوق؛ لأنه حين الزنا لا يكون معه من الإيمان إلا الحد الأدنى حيث أتت هذه الكبيرة فرفعت معظم الإيمان، ولم يبق معه إلا ما يجعله في دائرة الإسلام، فإذا ترك هذه الكبيرة وراجع نفسه رجع إليه الإيمان، وهذا بخلاف المداوم –أعوذ بالله– على تلك الكبائر؛ كشرب الخمر والزنا، فإنه يُسلب عنه اسم الإيمان، ويبقى عليه اسم الإسلام ما لم يستحل تلك الأمور، يعني يعتقد أنها حلال، فهنا يُنفى عنه اسم الإسلام أصلًا؛ لأنه يكون خارجًا من دائرة الإسلام بالكلية كافرًا بالله سبحانه وتعالى.

ولهذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في **[الإيمان الأوسط]**، قال: "يتبين أنّ الشارع ينفي اسم الإيمان عن الشخص لانتفاء كماله الواجب، وإن كان معه بعض أجزائه كما قال: «**لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»، وبهذا يتبين أنّ الرجل قد يكون مسلمًا لها مؤمنًا ولا منافقًا مطلقًا، بل يكون معه أصل الإيمان، الحد الأدنى دون حقيقته الواجبة" اهـــ.

إذًا هذا هو عقيدتنا أهل السُّنة في الإيمان.

أصل منشأ الخلاف في مسألة الإيمان والتكفير.

المسألة التي بعدها: ما أصل منشأ الخلاف بين الفرق والطوائف في مسألة الإيمان والتكفير؟

نقول: الأصل الذي بسببه نشأ النزاع في مسألة الإيمان مسألتان:

❶ الأولى: هل الإيمان كلٌ لا يتجزأ، إذا زال جزءٌ منه زال باقيه؟ يعني هل هو حقيقة واحدة ولا يتجزأ ويتبعض؟

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى في الجزء السابع في [الإيمان الكبير]، قال: "وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه"اهـــ.

هذا الأصل الأول، هل الإيمان كلٌ لا يتجزأ إذا زال جزءٌ منه زال باقيه؟

❷ الأصل الثاني: قولهم: إنه لا يجتمع في الإنسان طاعة ومعصية وإيمان وكفر –يعني الكفر الأصغر– وإسلام ونفاق، بل إذا وُجد أحدهما انتفى الآخر، وهذا بناء على الأصل الأول الذي ذكرناه قبل قليل، وهو أنّ الإيمان عندهم حقيقة واحدة مركبة إذا زال جزءٌ منه زال كله، وهذا غلط، نحن أهل السنة عندنا الإيمان يتجزأ ويتبعض.

إذًا الأصل الثاني الذي نشأ بسببه النزاع بين أهل السنة وبين هذه الطوائف أنه لا يجتمع في الإيمان طاعة ومعصية وإيمان وكفر أصغر وإسلام ونفاق، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في [الإيمان الأوسط]: "وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمانٌ ونفاق، ومنهم من يدَّعي الإجماع على ذلك"، وهذا باطل كما نقضه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

إذًا تفرع من هذين الأصلين نزاع الفرق في مسألة الإيمان؛ فالخوارج الوعيدية، الخوارج والمعتزلة غلاة غلوا في هذا الباب فكفَّروا صاحب الكبيرة –مرتكب الكبيرة– وقالوا: بأنّ الزاني إذا زنا كفر، وهذا غير صحيح، هذا من أبطل ما يكون كما ذكرنا آنفًا، في النصوص أثبتت له الحد الأدنى من الإيمان، والخوارج زادوا على ذلك بالتكفير بما ليس بمُكفِّر كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في شرح حديث الافتراق، قال: "وأصل قول الخوارج التكفير بذنب، ويجعلون ما ليس بذنبٍ ذنبا" كما في شرح حديث الافتراق.

❶ ما هو الإرجاء؟

وعلى النقيض من هذا المرجئة، ما هو الإرجاء؟ الإرجاء إخراج العمل عن اسم الإيمان، والمرجئة طوائف، ويهمنا من الإرجاء يعني فرق المرجئة الغلاة طائفتان:الأشاعرة والماتريدية، يقولون: بأن الإيمان تصديق القلب فقط، يكفي تصديق القلب دون قول اللسان ولا عمل الجوارح، فهاتين الفرقتين من غلاة فرق المرجئة، الأشاعرة والماتريدية؛ ولهذا يقول صاحب **[الجوهرة]**، جوهرة اللقاني الأشعري، قال:

لو فُسِّر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخُلف بالتحقيق

يعني الإيمان عندهم مجرد التصديق بالقلب، قال: "والنطق" نطق اللسان قال: فيه خلاف عندهم، هل يكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه؟

إذًا ركن الإيمان عندهم هو تصديق القلب، وممن نصَّ على ذلك من الماتريدية أبو المعين النسفي صاحب كتاب **[تبصرة الأدلة في أصول الدين]**، قال: "والإيمان عندنا التصديق بالقلب، وإليه ذهب إمامنا أبو منصور الماتريدي".

أيضًا من فرق المرجئة: مرجئة الفقهاء، حمَّاد بن أبي سليمان وتلميذه أبو حنيفة، يقولون: بأنّ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، ويُخرجون العمل عن اسم الإيمان، وهذه من البدع التي أنكرها عليهم أئمة السلف المتقدمين.

أيضًا هنا ما يُسمى بالإرجاء المعاصر، الإرجاء المعاصر وهو القول بأنّ العمل شرط كمال، والقول بأنّ من ترك جميع الأعمال بالكلية هو ما زال في دائرة الإسلام، والقول بحصر الكفر بالاعتقاد؛ لأنّه عندنا أهل السنة أنّ الكفر ليس محصورًا بالاعتقاد، الكفر يكون بأربعة أمور:

١) بالقول؛ كسب الله وسب رسوله، نعوذ بالله من ذلك.

٢) أو بالعمل؛ كالسجود لصنم.

٣) أو بالاعتقاد؛ كاستحلال المحرمات، استحلال الزنا، يأتي شخص يستحل الزنا يقول: الزنا حلال ليس بحرام.

٤) أو بالشك، التردد في قبول أحكام الشريعة.

فالكفر عندنا أهل السنة متنوع، قول وعمل واعتقاد وشك.

الإرجاء المعاصر يقول لك: لا، الكفر محصور بالقلب، بالاعتقاد والجحود، هذا باطل؛ ولهذا لمّا أورد شيخ الإسلام رحمه الله في [الإيمان الكبير] على المرجئة المكفرات الصريحة كسب الله ورسوله، وهدم المساجد، وإهانة المصحف، ومحاربة الله ورسوله، قال: "فإذا أُورد عليهم أنّ الواحد من هؤلاء -يعني من فعل هذا- كافرٌ في نفس الأمر -الواحد المعين- كافر في نفس الأمر، قالوا: إنما كفر لانتفاء التصديق من قلبه، لم يكفر لذات المُكفِّر.

قال شيخ الإسلام: "قول المرجئة هؤلاء سفسطة عند جميع العقلاء"، سفسطة، هذا جدل مبني على عدم التسليم بالحقائق، يقول: "قولهم: كل من انتفى عنه الإيمان لأجل انتفاء التصديق من قلبه قال رحمه الله: "هذه سفسطة عند جمهور العقلاء"؛ ولهذا الكفر عندنا متنوع؛ مثلًا: إبليس كفره ليس كفر جحود وتكذيب، وإنما كفر إباء واستكبار مع التصديق، كان مُصدِّق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤]، ومع ذلك لم يغنِ عنه من الله شيئًا.

من الكفر عندنا أهل السنة كفر الإعراض؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف:٣]، وهو ليس جحود ولا تكذيب، فالكفر متنوع وليس محصورًا بالجحود والتكذيب.

إذًا الإرجاء المعاصر يتبنى القول بأنّ الأعمال كمال وفرع في الإيمان، وحصر الكفر بالجحود والتكذيب، وأنّ من ترك جميع أعمال الجوارح بالكلية فليس بمسلم.

وممن تبنى هذه الآراء صراحةً هو الشيخ الألباني -عفا الله عنا وعنه-، ومع الأسف صارت أخطاؤه هذه في مسألة الإيمان وتقريراته لمذهب المرجئة أُخذت مُسلَّمة على أنها هي السلفية وهي مذهب السلف، وهذا غلط، هذا الكلام ليس بصحيح، وإنما هذه التقريرات هي مذهب المرجئة، وقد أخطأ الشيخ في ذلك -عفا الله عنا وعنه- وجانب الصواب ووافق مذهب المرجئة، فالكفر عندنا أهل السنة متنوع -كما قلنا- وليس محصورًا بالجحود والتكذيب.

إذًا هذه أبرز مقالات الطوائف في باب الإيمان وفي باب التكفير، فالوعيدية وهو الخوارج والمعتزلة كفَّروا مرتكب الكبيرة وقالوا: "إنّ كل كبيرة هي كفر"، وقابلهم على النقيض من

ذلك المرجئة وهم على النقيض الآخر، فقالوا: "بأنّ الإيمان هو التصديق بالقلب"، كما عليه الأشاعرة والماتريدية، "أو التصديق والقول"، كما عليه مرجئة الفقهاء، وأخرجوا العمل عن اسم الإيمان، وحصروا الكفر بالجحود والتكذيب، وهذا باطل مخالف لنصوص القرآن، فمن يقرأ نصوص القرآن يجد أنّ الكفر متنوع:

- فمن الكفر ما يكون بالقول كما قال سبحانه وتعالى عمن استهزئوا: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، ومن الكفر بالقول أيضًا دعاء غير الله جلَّ وعلا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

إذًا الإيمان عندنا أهل السنة: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية، والكفر عندنا متنوع يكون بالقول، ويكون بالعمل، ويكون بالاعتقاد، ويكون بالشك.

فهذا هو اعتقادنا أهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة، وهي مسألة الإيمان وما يقابلها وهو التكفير.

إلى اللقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله، أستودعكم الله.

أستودعكم الله، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.